

الرسالة

قال " الشافعي : " : إِنَّ خَلْقَ الْخَلْقِ لِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ مِمَّا أَرَادَ بِخَلْقِهِمْ وَبِهِمْ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ .

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ تَرْبِيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَفِيهِ فَرَائِضٌ أَثْبَتَهَا وَأُخْرَى نَسَخَهَا رَحْمَةً لِّخَلْقِهِ بِالتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ وَبِالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ زِيَادَةَ فِيمَا ابْتَدَأَهُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ . وَأَثَابَهُمْ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ إِلَى مَا أَثْبَتَ عَلَيْهِمْ : جَنَّةً وَنَجَاةً مِنْ عَذَابِهِ فَعَمَّ تَتَهُمْ رَحْمَتُهُ فِيمَا أَثْبَتَ وَنَسَخَ فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى نِعَمِهِ .

وَأَبَانَ أَنَّ لَهُمْ أَنْ يَنْسَخَ مَا نَسَخَ مِنَ الْكِتَابِ بِالْكِتَابِ وَأَنَّ السَّنَةَ لَا نَاسِخَ لِّلْكِتَابِ وَإِنَّمَا هِيَ تَتَّبِعُ لِّلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِمَا نَزَلَ نَصًّا وَمُفَسِّرَةً مُعْنَى مَا أَنْزَلَ أَنَّ مِنْهُ جُمَلًا . قَالَ : " وَإِذَا تَوَلَّيَ عَمَلِيهِمْ آيَاتٍ تُنذِرُنَا بِآيَاتِنَا قَالَتِ الْكَافِرِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّا وَكَّافُونَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْنَاهُ . قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ [ص 107] أُبَدِّلَ لَهُ مِنْ تِلْكَ قَاءٍ نَفْسِي إِنْ أَتَتْ بِغَيْرِ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ . إِنْ زَيْتِي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) " [يونس] .

فَأَخْبَرَ أَنَّ فَرَضَ عَلَى نَبِيِّهِ اتِّبَاعَ مَا يُوحَى إِلَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ تَبْدِيلَهُ مِنْ تِلْكَ نَفْسَهُ .

وَفِي قَوْلِهِ : " مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَ لَهُ مِنْ تِلْكَ قَاءٍ نَفْسِي (15) " [يونس] بيانٌ ما وصفتُ مِنْ أَنَّهُ لَا يَنْسَخُ كِتَابَ اللَّهِ إِلَّا كِتَابُهُ كَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ تَدْرَعُ لِفَرْضِهِ فَهُوَ الْمُنْزِلُ الْمَثْبُتُ لِمَا شَاءَ مِنْهُ جَلَّ ثَنَاهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَكَذَلِكَ قَالَ : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39) " [الرعد] .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : فِي هَذِهِ الْآيَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِرَسُولِهِ أَنْ يَقُولَ مِنْ تِلْكَ نَفْسَهُ بِتَوْفِيقِهِ فِيمَا لَمْ يُنْزَلْ فِيهِ كِتَابًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ " . . . (39) [الرعد] : يَمْحُو فَرَضَ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ فَرَضَ مَا يَشَاءُ وَهَذَا يُشَبِّهُ مَا قِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

[ص 108] وَفِي كِتَابِ اللَّهِ دَلَالَةٌ عَلَيْهِ قَالَ : " مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) " [البقرة] .

فأخبرنا أن نسج القرآن وتأخير إنزاله لا يكون إلا بقدرآن مثله .
وقال : " وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ
: قَالُوا : إِنَّا نَزَّمَا أَرْزَقَهُمْ مُمْتَرِينَ (101) " [النحل] .
وهكذا سنة رسول الله لا يندسخها إلا سنة رسول الله ولو أحدث الله لرسوله في أمر سن
فيه غير ما سن رسول الله : لسن في ما أحدث الله إليه حتى يبدل من الناس أن له سنة
ناسخة لسنتي قديلاتها مما يخالفها . وهذا مذكور في سنته - A